الاتجاه الاجتماعي في أعمال المفسرين الجزائريين

د. بلحاج جلول
المركز الجامعي - البيض

د. بلحاج ميلود
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان

تاريخ الارسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2020/05/02	2020/05/11	2020/06/15

الملخص:

يتعرض هذا المقال إلى كثير من أعمال التفسير قديما وحديثا، والتي عالجت قضايا المجتمع، وتعاملت مع الواقع من منظور قرآني. وسيرى الباحث مدى التفاوت الحاصل بين إنتاج المفسرين المتقدمين من الجزائريين وومن خلفهم من المعاصرين، وإلى أي مدى أيضا كانت المعالجة التفسيرية دقيقة وفعالة، ومدى نجاح التعاطي مع متطلبات الواقع. ومن جهة ثانية يبرر عامل الإيجاز الحاصل إلى حدّ الإعراض عن تلك القضايا إلى كون تفاصيل الحياة الإسلامية قد يتولاها الفقه والقضاء والحسبة والفتوى... فيما مضى؛ بخلاف ما حدث فيما بعد من الانحسار لهذه الهوامش، ووهم ما يؤسس للحاجة الأكيدة إلى قيام المفسر من خلال أعماله التفسيرية بالأساس بمهمة دراسة القضايا بالتشخيص والمعالجة من زاوية النص القرآني.

الكلمات المفتاحية: التفسير - الواقع - المعالجة - المجتمع - الفقه - القضاء.

Abstract:

This article is exposed to many interpretations of ancient and modern, which dealt with the issues of society, and dealt with reality from a Koranic perspective, and the researcher will see the extent of the discrepancy between the production of interpreters advanced of Algerians and other contemporary, and to what extent was also the interpretation of accurate and effective, Successfully with the requirements of reality.

Key Words: interpretation - reality - treatment - sociology.

المقدمة:

عالج القرآن الكريم كثيرا من قضايا المجتمع؛ بعضها بالتفصيل كقضايا الأسرة من زواج وطلاق ونفقة، وحجاب وميراث...وبعضها بالإشارة الموجزة كمعاملة الجار ووصلة الأرحام، والابتعاد عن الفواحش... وقد قرر لذلك عقوباتٍ محددةً، بعضُها حدودٌ مقدّرة، والبعض الآخر تعزيراتٌ يعود تقديرها إلى الحاكم. وواضح أن المفسر لا ينبغي له أن يتجاوز معالجة القرآن لهذه القضايا، بل يتخذها قاعدة تأسيس وتقويم، وعليه بالتالي أن ينسج على منوالها بالتوسع والتمثيل، والاستفادة من الأفكار العصرية النافعة، وما يستجد في العلوم الاجتماعية الحديثة، والتشريعات المستحدثة.

إن مطالعة الإنتاج العلمي للمفسرين الجزائريين يكشف عن وجود ذلك مفرقا في ثنايا كلام المفسرين، ومتفاوتا بين قدامى المفسرين منهم والمتأخرين؛ بل وجدنا ذلك التفاوت واضحا حتى بين المفسرين المعاصرين أنفسهم؛ فبينما يُسهب مفسرٌ هنا وهناك، يقتضب مفسرٌ آخر في العبارة وربما في مواضع المعالجة أيضا. ولعل تفسير ذلك كما سيظهر من خلال المقال أن وجود الكتابة المختلفة عن تفاصيل الحياة الإسلامية في كتب الفقه وغيره قد أغنى عن الاستطراد في ذلك في كتب التفسير. وهو واضح عند المتقدمين أكثر منه عند غيرهم، بينما لم يترك المعاصرون فرصة تناول القرآن لتلك القضايا دون الإسهاب في تفسير ذلك وتوضيحه؛ بهدف تنزيله على واقع الحياة الإسلامية الذي قد يبتعد في بعض الأزمنة والأمكنة، بمقادير مختلفة ومتفاوتة عن صحيح الحياة الإسلامية كما يقدمها القرآن بالإجمال وتفصلّها السنة النبوية.

أولا: تحديد مفهوم التفسير الاجتماعي:

المقصود من هذا الشكل من التناول في التفسير والدراسات القرآنية هو التركيز على الآيات والسور التي عالجت قضايا المجتمع ذات الصبغة العملية خصوصا، كالأخلاق الإجتماعية المتعلقة بالعمل والمال والأسرة وتولي المسؤوليات المدنية والعسكرية، وقضايا الأمن الإجتماعي عموما. وهو شكل من التفسير بدأ متفرقا في ثنايا التفسير ثم أفردَ له نمط خاص من التفاسير وتخصص فيه مفسرون معاصرون.

01- **سنن التغير الاجتماعي:**

نستعرض ههنا بعض التفاسير للمتقدمين من أهل القرن التاسع إلى تفسير الأمير عبد القادر والشيخ اطفيش... والمفروض في الأخيرين أنهما ينتميان في المنهج والمعالجة إلى طريقة المفسرين المعاصرين؛ لننظر كيف تمّت معالجة قضايا المجتمع التي عرض لها القرآن، وكيف استجاب التفسير لمقتضيات العصر، وسيكشف التحليل الدوافع الكامنة خلف الأنماط التفسيرية المنتهجة.

عند تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: 11]، لم أجد للثعالبيّ (876هـ/ 1471م) نصا بخصوصها، وهو ممن تعرض لكامل التفسير تقريبا باعتبار عمله اختصارا لتفسير ابن عطية الأندلسي، إذ أن عمل ابن عطية تعرض فيه صاحبه لتفسير جميع القرآن، ولا تعرض لذلك البسيلي (830هـ/ 1428م)، وكان قد قيد التفسير عن شيخه ابن عرفة التونسي (808هـ/ 1406م)، وهو الذي تناول أكبرَ قدْر من التفسير، كما تدلُّ عليه نسخة التفسير المتداولة. وأما غير هؤلاء من المفسرين الجزائريين إبان القرن المذكور، فإنّ أعمالهم الجزئية في التفسير لا تكاد تصل الآية المذكورة.

هذا ولم تتيسر لنا نصوص من تفسير الشيخ طاهر الجزائري (1338هـ/ 1920م)، ولكن النص التالي يوحي بطريقته في تناول التفسير على الأقل في دروسه، إذ لم تكن تعليقاته وتقييداته على تفسير البيضاوي بنفس المنهج التقليدي البياني أساسا، وهو أن بعض من عرفوا بحضور مجالس الشيخ طاهر الجزائري العلمية، وهو الشيخ أحمد النويلاتي كان قد لازم دروسه في التفسير والحديث والبلاغة وتأثر بمنهجه الإصلاحي في كلّ ذلك وغيره. ومنها دروسه في التفسير بالمسجد بين العشاءين وبحضور عامة الناس كما هو معهود، فهو يقول: " ودروسه في التفسير بين العشاءين يفتتحها عادة بقراءة الآيات التي وصل التفسير إليها مبتدئا بذكر أسباب النزول، ثم يشرح معناها بلغة سهلة جدا، ثم يذكر ما فيها من القراءات ووجوه معانيها، ثم يسرد أحكامها مبينا حلالها وحرامها، ثم يشرع بتطبيق أحكامها على أحواله زمانه، منها إلى ما ترك الناس من أوامرها، وما ارتكبوا من نواهيها، ويستطرد هنا ويذكر ما يجري عليه الناس في معاشهم من غش وخيانة واحتيال، مسهبا في التنديد مفصحا غير مُعرِّض؛

فهو يذكر ضروب الغش الذي يأتيه الخبازون والطحّانون والقصّابون، وسائر أرباب الصناعات، غير ناس المتظاهرين بالتُّقى والصلاح، المغرّرين بالناس ليحتالوا عليهم، ثم يعرج على الحكّام وما يفعلون بالفلاحين، والعمال والفقراء واليتامى والمساكين. وكان أكثر ما ينصبُّ إنكاره على أولئك الذين نصبوا أنفسهم منارات الهدى وورثة الأنبياء، وحماة الدين من المنافقين الذين يتملّقون الحكام. ولقد قامت دروسه مقامَ الصحف والبلديات والمحتسبين في وقت واحد فكان لسانَ الشعب الحذر وعينَه اليقظى. وكان يبين في كلامه واجب العلماء، الذي هو الاختلاط بطبقات الشعب، والعمل على الإصلاح ويردد كلمة الغزالي: من لم يعرف أحوال زمانه فهو جاهل."[1].

وهذا النص وإن لم يكن من كلام الشيخ الطاهر الجزائري نفسه، فهو عمل أحد تلامذته والمتأثرين به، مع الأخذ بالتحفظ الذي يمليه واقعُ الإقامة بغير الوطن الأصل كما تدلّ عليه أحول العادة والاجتماع. وأضيف أن هذه الطريقة المحتملة كانت في التدريس في المسجد أوضح منها في التأليف العلمي كما هو مشاهد من غلبة المعارف العلمية من عربية وغيرها على تفاسير العلماء في الجملة.

على أن الشيخ اطفيش قد تعرض في تفسيره تيسير التفسير وهو عمل كامل للآية المذكورة. ووجهة النظر عنده تنحصر في أن العبد أو الجماعة إذا كان على حال من الطاعة أو النعمة، فإنها لا تزولُ عنه حتى يقوم هو من جانبه بتبديل حال الطاعة إلى المعصية؛ فتزول النّعمة عنه " **﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَومٍ﴾** في قومهم أو لقوم أو مع قوم من نعم الصحة، والمال والجاه والستر، ونحو ذلك **﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾** من الحالة الحسنة بالمعصية، وكلّ أحد يولد على الفطرة حتى يبلغ فيكفر أو يبقى على الخير، أو من حال حسنة كالجود والعدل، ولو كان كافرا فإذا جارَ سُلِبَ مالُه مما يستحسنه، وقد يبقيه أو يزيده مما يحب استدراجا، والشكر يُبقى النعم والكفر يُزيلها."[2]. بينما لم يتعرض لعكس الصورة، وهو فيما لو كان على حال المعصية وزوال النّعمة ما هو الواجب عليه من جانبه ليتغير حاله إلى الوضع المطلوب.

وهذه الصورة الأخيرة المشار إليها وجدتُ الشيخ اطفيش في تفسيره هميان الزاد لم يتعرض إليها أيضا؛ بل إنه بعد أن ذكر شيئا مما نقلتُه في تيسير التفسير له، قد قال: " **﴿إنَّ الله لا يغيّر ما بقومٍ﴾** أي ما في قوم من العافية والنعمة **﴿حتَّى يُغيروا ما بأنفسهم﴾** أيْ ما

فيهم من الأحوال الجميلة بالمعاصي، وهذا في الموحّد ظاهرٌ."[3]. وأن الآية إنما تصدق في المؤمن وغير المؤمن فيدخل المؤمن بترك المعصية في الطاعة لحصول الإيمان له ابتداء، وبالتالي يستحق بقاء النعمة التي هو فيها.

لكن ماذا لو سعى غيرُ المؤمن في نفس الخط بترك ما يقع له بحكم شرع العقل من تحصيل الأحوال الجميلة مما هو ملاحظ، أو هو مستمر الوقوع في المعاش عند عموم الجماعات الإنسانية. فهل تجري عليهم نفس القاعدة وتنطبق عليهم نفس السنّة؟ فعند الشيخ اطفيَّش أنه لا مانع من ذلك بل يوجبه شرع العقل بلا فرق فقد قال: " وأما في غيره فوجهه أن المشرك قد تصدر عنه أحوالٌ جميلة كالعدل بين الخلق، والرحمة والصدقة، وإذا تركوها أو أكثروا الفواحش أو أعظموها كوصف الله بأنه إنما يكون من نحو حديد أو رصاص أو نحاس، وكإرادة الغدر بالنبي؛ أزيلت عنهم النعم بعد استدراجهم بها، وأن العقل داع إلى الأحوال الجميلة، فإذا غيروها بترك إتباعها زالت عنهم النعم. وإن دين الله كالشيء الثابت فيهم، ولو لم يؤمنوا به لظهوره كالشمس، فإذا غيروه بالإعراض عنه زالت." [4].

بينما وجدنا عند المعاصرين من المفسرين طرحا أوضحَ قريبا من وعي قارئ التفسير المعاصر، وإن كان لا يختلف من جهة المضمون عما ذكره اطفيّش وغيره. فعند الشيخ جابر الجزائري يطالعُك قوله " وقوله تعالى: ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ يخبر تعالى عن سنّة من سننه في خلقه ماضية فيهم وهي أنه تعالى لا يزيلُ نعمة أنعم بها على قوم من عافية وأمن ورخاء بسبب إيمانهم وصالح أعمالهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من طهارة وصفاء بسبب ارتكابهم للذنوب وغشيانهم للمعاصي نتيجة الإعراض عن كتاب الله وإهمال شرعه وتعطيل حدوده والانغماس في الشهوات والضرب في سبيل الضلالات."[5]. فالعبارة الأخيرة تتجاوز في إجراء القاعدة المذكورة والسنة المستمرة مجردَ المخالفة في المعاصي الجزئية من الأفراد، بل الأمر يبلغ أقصى مداه عند تعطيل الشريعة وإهمال حدودها المقررة، وهو همٌّ حديث لم يكن المفسرُ القديم يعاني منه فهو إرث الاستعمار الحديث.

وهذا العرض الواضح لمضمون الآية والسنة الاجتماعية التي تقررها وجدته أيضا لدى المفسر سعيد كعباش من أعيان الإباضية لدى تعرضه للآية المذكورة، فهو بعد أن يستدعي التاريخَ، ويحيل على أحوال المجتمعات البشرية قديمها وحديثها، يمثل بواقع الأمة الإسلامية

وما حصل لها إما بسبب ما جنتْ يداها من المخالفة لهدي الشرع، أو ما تسبب لها فيه الغيرُ ولم تسْعَ هي إلى إصلاحه فقد قال: " ﴿**إنَّ الله لا يُغير ما بقَوم حتى يُغَيروا ما بأنفُسِهم**﴾: لقد تظافرت النصوص الشرعية من قرآن وسنة في النهي عن الظلم والفساد، وبيّنت كيف تكون عاقبة ذلك وخيمةً على المجتمعات البشرية، وضرب الله لذلك مثلا من الأمم الخوالي، وهي سنّة مطردة لا تتخلف في العمران البشري. والتاريخ القديم والحديث خيرُ شاهد على ذلك، ولنا من الأمة الإسلامية في مراحل قوّتها وضعفها خير دليل على اطراد هذه السنة الاجتماعية، فعندما غيرت سلوكها وحادت عن منهج الله سلط الله عليها أعداءها فأضحت أوزاعا وأشتاتا لا قيمة لها في المحافل العالمية وإن كانت كثيرة العدد؛ فهي كغثاء السيل كما تنبأ بذلك رسول الله في الحديث المشهور. وكان من حكمة الله ومشيئته أن يكون الناس بتوجهاتهم وسلوكاتهم هم سببَ التغيير في أوضاعنا إيجابا وسلبا."[6].

ولا يفوتُ المفسرَ أن يلاحظ موقع " النفس" البشرية في مجرى القاعدة فالأمر يتعلق بالمجتمع البشري وهو نفوس متعددة مترابطة بل متشابكة، هي في النهاية صورة لنفس واحدة كبيرة جمعية " ومن الطريف البديع أن يعلق الله التغيير بتغيير ما في النفس؛ لأن جوهرة النفس في ذات الإنسان هي مستودع الإلهام الرباني برا وتقوى أو إثما وفجورا. ثم إن هذه القاعدة الاجتماعية تخص المجموعات البشرية، ويبقى الفرد محكوما بذنوبه تارة وبذنوب غيره أخرى إذا وقف منها موقف اللامبالاة والسكوت عنها."[7].

02- **قضايا الأسرة:**

ولنضربْ مثلا للآية التي تتكلم عن نعمة الزواج، وهو أساس اجتماعي تعرض القرآن لتفصيل كثير من أحكامه، فتجدُ مثلا هودَ بن محكم الهواري وهو من مفسري القرون الأولى القرن الثالث الهجري تحديدا لا يكاد يتجاوز المعاني الأصلية التي تفيدها ألفاظ الآية دون التفصيل لوجوه النعمة المشار إليها. فهو يقول: " قوله: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ [الروم: 21]، يعني أزواجكم، أي: المرأة من الرجل ﴿**لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا**﴾ أي: لتستأنسوا إليها ﴿**وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً**﴾ يعني محبة ﴿**وَرَحْمَةً**﴾ يعني الولد ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ أي: فيؤمنون، وإنما يتفكَّر المؤمن."[8].

وبعد قرون وفي القرن العشرين وفي بيئة اجتماعية متطورة نسبيا، وبمشاكل أكثر حساسية تجد الشيخ اطفيش يسهب نسبيا في تفصيل المعاني السابقة التي أشار إليها ابن محكّمُ ككون الزواج فيه مودة، ولو تباعدت الأنساب والقرابات، فهو يقول: " ﴿**ومن آياته أن خلق لَكُم من أنفسُكِم**﴾ أيها الرجال، أي أجسادكم ﴿**أزوْاجا**﴾ إناثا تتزوجونهن بخلق حواءَ لآدم من جسده، أو من أنفسكم من جنسكم، ويناسب كلا من الوجهين قوله عزّوجلّ ﴿**لتسْكُنوا**﴾ لتميلوا بقلوبكم، وتتبعها الجوارح ﴿**إليْها**﴾ إلى أزواجكم؛ لأن من خلق منك بخلقه من أبيك أنسبُ بأن تسكن إليه، ومن خلق من جنسكم أنسب بالميل إليه بخلاف ما إن كانت الأزواج من جنس البقر مثلا، والأول أولى بالمساكنة. ورجح بعضهم الثاني. ﴿**وجَعَل بينَكُم**﴾ أيها الرجال وأزواجكم، والخطاب للكل، وقيل للرجال وحذف النساء، أي بينكم وبين الأزواج ﴿**مودَّةً ورحْمَة**﴾ بالتزاوج ولو تباعد النسب، ولو لم نلتق معها إلا في نوح، وقيل بينكم أيها الناس بين رجل وآخر، وبين امرأة وأخرى، وبين امرأة ورجل لقرابة أو إحسان أو شفقة، أو ما شاء الله تعالى." [9]. وهكذا تطوى القرون وتتبدل الأوضاع، ولا يظهر للتطور في المعالجة أثر كبير.

ومن عادة الشيخ أن يحققَ في الألفاظ من جهة المعاني اللغوية والشرعية، ويردّ ما لا تفيده الألفاظ ويرجحه من وجهة نظره كما فعل ذلك عند قوله: " والمودة: الحبُّ والرحمة، ويقال المودة الرحمة من الله، والفَرْك من الشيطان، أي البغض بين الزوجين، ويضعف أن المودة كناية عن النكاح، والرحمة كناية عن الولد، وكون المودة بمعنى المحبة كناية عن النكاح ظاهر للزومها له. وأما كون الرحمة بمعنى الولد للزومها له فبعيد، وكان قائله راعى ورود الرحمة في القرآن لشأن الولد، ويبعد أن المودة للشابة، والرحمة للعجوز، وأن المودة للكبير من الناس، والرحمة للصغير منهم، وإنما اشتباك الرحم."[10].

وبمناسبة الحديث عن التعقيب الذي ختمت به الآية يجمل المعاني السابقة، ويزيدها تأكيدا فهو يقول: " ﴿**إنَّ في ذلك**﴾ المذكور البعيد رتبة من خلقكم من تراب، وخلق أزاوجكم من أنفسكم وإلقاء المودة والرحمة ﴿**لآيات**﴾ عظيمة ﴿**لقَومٍ يتفكَّرون**﴾ في كل واحدة، وفى الواحدة كفاية. ومما يؤدي إليه التفكر أن خلق الأزواج والمودة والرحمة، ليس لمجرد قضاء الشهوة كالبهيمة، بل لتولد من يعرف الله، ويوحده ويعبده." [11]. لكن ذلك كلّه دون أن يشير

فيه إلى واقع الزواج في زمانه ومدى وقوف الناس عند حدود الشرع، ومدى تقدير الناس لنعمة الزواج والحياة والزوجية، والأثر السلبي المترتب عن إهمال شروط المودة والسكينة.

وفي تفسير همیان الزاد للشيخ اطفيش دائما نجده يوجز ما قرره سابقا في تفسير الآية، ويتخلص من إيراد الاختلاف في المعاني المقررة وبذلك يعفي نفسه من الرد عليه وتخطئتها، كما فعل عند قوله: " ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً**﴾ لأن حواءَ خلقتْ من ضلع آدم، والنساء بعدها من أصلاب الرجال والنساء أو بين أفراد الجنس. ﴿**لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا**﴾: تميلوا إلى الأزواج وتألفوهنّ لأنهنّ من جنسكم. ﴿**وَجَعَلَ بَيْنَكُم**﴾ بين الرجال والنساء أو بين أفراد الجنس. ﴿**مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ يتحابان ويتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف. ولا شيء أحب إلى الآخر من غير رحم بينهما إلا الزوجان، وعيش الإنسان متوقف على التعارف والتعاون، وقال الحسن: المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد. ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ في عظمة الله وقدرته فيعلمون ما في ذلك من الحكم." [12].

نترك الحديثَ عن الشيخ اطفيش فتفسيرُه متقدم قليلا عن الواقع الذي عالج فيه الشيخ بيوض (1982م) مثلا بعض قضايا الأسرة؛ فبمناسبة تفسير الآية السابقة يستطرد لمعالجة بعض ما يرتبط بالزواج ارتباط شديدا، وهو الأسس التي يختار الرجل المرأة بناء عليها، وأنه بنظر الشيخ بيوض يجب أن يكون الاختيار مشتركا بين الشاب والوالدين؛ ليكون أكثرَ مسؤولية فهو يقول: ﴿**ومنَ آياته أنْ خلقَ لكُم منَ اَنفسِكُمُ أزواجا**﴾، فالشاب في هذه المرحلة يختار بعاطفته فيميل إلى المظاهر؛ إلى الجمال والزينة والبهرجة، فينجذب قلبه وتشتعل في قلبه نارُ الحبّ، فيقول: أنا أحبّ بنتَ فلان أو فلان من غير أن ينظر إلى الخلال والصفات التي تطلب في المرأة، والتي لا يمكن أن ينظر إليها نظرا حكيما متدبرا، كما ينظر إليها أبوه صاحبُ الخمسين أو الستين من عمره، أو أمُّه التي جربت ورأتْ وعاشرت..." [13].

وقارئ تفسير الشيخ بيوض وخصوصا في هذا الموضع بالذات يشعر بمدى واقعية المفسر وهو يعالج ما يتصل بالمجتمع من قضايا القرآن، وبمدى مصداقية التفسير من جهة احتوائه على مقادير جيدة من التشخيص الناجع والمعالجة المناسبة.

ويتعرض الشيخ أيضا في موضع آخر إلى ما يصيب الحياة الزوجية من المصاعب، وما من شأنه أن ترتفع به المودة والرحمة المشار إليها في الآية، وما ينتج عن ذلك من تأثر الأولاد سلبا جراء القلق الدائم من النزاعات المستمرة، فهو يقول: " هذه هي المشاكل التي تتخبط فيها العائلات ويزداد المشكل تعقيدا إذا كان بين الزوجين أولاد إذ يتنازعهم الأبوان، وقد يتدفعانِهم فيشتتون بينهما، كما يتنازعون على النفقة والحضانة، ولا بد أن ينعكس هذا على الأبناء فتفسد أخلاقُهم وتصيبهم العُقَدُ النفسية." [14].

ولا يفوت الشيخَ بيوضا وقد عاصر البدايات الأولى للتحولات التي شهدتها الأسرة الجزائرية باعتبارها واقعا محيطا في السبعينات أن يتعرض إلى التنبيه على قداسة عقد الزواج، والدعوة إلى تسهيل أموره خصوصا بتيسير المهور، وإن كان الخطاب موجها فيه إلى أهل مْزابْ فهو يقول: " فأنتم أيها الشباب الجالسون أمامي مقبلون على عقد الزواج المقدس فاجعلوا اعتبارا كبيرا لآراء آبائكم... الصداق عندنا محدود كما سنَّه لنا أوائلُنا، وهذه سنّة حسنة وطريقة متبعة في وادي مزاب كله." [15].

ونختم الكلام عن الشيخ بيوض في هذا الموضوع بما ذكره وهو من قبيل القاعدة الاجتماعية المقررة من أن التغيير الاجتماعي خصوصا إلى الأصلح يتطلب الزمن الطويل ليحدث التغيير في جميع خلايا ومفاصل الجسم الاجتماعي ويصيب الوعي، والتغيير مطلوب لجميع أفراد المجتمع وفي جميع عناصره على اختلاف فئاتهم وثقافاتهم؛ وبالتالي تحصل نتيجة التراكم ما هو شبيه بالموجة الاجتماعية. فقد قال الشيخ بمناسبة الكلام عن عمْرِ نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت: 14] ما نصه: " وفي ذكر هذا العمُر الطويل لنوح عليه السلام تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين آمنوا معه، والذين أصابهم القلق في السنوات الأولى، والمشركون غالبون ومتمادون في تعذيب المؤمنين، فقالوا: متى نصر الله؟ وكأن الله تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: كم هي المدة التي قضيتها في المجاهدة بالنسبة للمدة التي قضاها نوح عليه السلام؟ حقا إنها لمدة طويلة، وإنا لنذكرُها ونعجبُ منها، ومن صبر سيدنا نوح عليه السلام. هذا من جهة، ومن جهة أخرى نعجب من طغيان قومه وتماديهم على ضلالهم. فطوال هذه المدة لم يؤمن معه إلا قليل. ولو كان المؤمنون به واحدا في

كل سنة لكان عدد المؤمنين به تسعمائة وخمسين، ولكن لم يكن. لقد كان عددهم بقدر حمولة السفينة التي صنعها بيده بإذن الله. وأكثر ما قيل في عددهم: أنهم ثمانون بين رجل وامرأة...."[16].

03- **قضايا الأمن الاجتماعي:**

ولما كان المجتمع الإسلامي دائم التعرض للاعتداء الأجنبي، فإنّ من واجب المفسر أن يتعرض لدفع ذلك، وهو يفسر الآيات التي تحضُّ المسلمين على جهاد الكفار ودفع العدوان، وإن كان هذا لا ينفي أن يقع الحثُّ من المفسر وغيره في غير التفسير كما وقع للإمام الثعالبي في رسالته إلى علماء بجاية في صدر القرن التاسع، لكن موضع ذلك الحث والحض من التفسير لا يخفى مفعوله ومدى أهميته في قلوب المؤمنين.

ونأخذ قوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت: 69] مثالا، إذ قد تعرض لها الثعالبي بإيجاز حيث ذكر ما احتوت عليه الجملة الأولى من المبتدأ وخبره، ونقل عن بعض السلف قصْرَ الجهاد المذكور في الآية على إقامة السنة. وقد ارتضاه المفسر عبد الرحمان الثعالبي إذ ترك التعقيبَ عليه، فقد قال ما نصه: " ﴿**والذين جاهدوا**﴾: مبتدأٌ خبرُه القسَمُ المحذوفُ، وجوابُه وهو: ﴿**لَنَهْدِيَنَّهُمْ**﴾، انتهى. وقال الثعلبي: قال سهل بن عبد اللّه: ﴿**والذين جاهدوا**﴾ في إقامة السنة ﴿**لَنَهْدِيَنَّهُمْ**﴾ سبل الجنة؛ انتهى. واللام في قوله ﴿**لَمَعَ**﴾ لام تأكيد."[17].

هذا ما ذكره الثعالبي وهي آية مناسبة لذكر ما يستدعيه الظرف من مدافعة الاعتداء المتكرر، والذي استدعى تدخل السلطان العثماني. فماذا قال الشيخ اطفيش في تيسير التفسير وقد عاصر الاحتلال الفرنسي وهو يتوسع في ربوع وطن الجزائر، وغيره من الاستعمار في أوطان العرب والمسلمين في هذا الموضع من التفسير" ﴿**والذين جاهدوا فينا**﴾ في أمرنا من الطاعة واجتناب المعاصي، وتقوية الإسلام، والثبات على ذلك، لا يمنعهم فقر ولا معصية ﴿**لنهديَنَّهم سُبُلنا**﴾ تمام ما دخلوه وما قصدوه، ونزيدهم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿**والذين اهتدوا زادهم هدى**﴾ قال رسول الله عليه وسلم: « من عمل بما علم أروثه الله علم ما لم يعلم » وقيل: الذين أرادوا الجهاد فينا هديناهم إلى ما أرادوا، وزعم بعض أن المراد سبلنا إلى الجنة، وبعض إلى الموت موت الشهداء والمغفرة ﴿**وإنَّ الله لَمَع المُحسنين**﴾ المذكورين بالنصر والإعانة، فالأصل

وإن الله معهم، فالظاهر ليصفهم بالإحسان المستوجب للمعية، أو المراد جنس المحسنين هؤلاء بالأولى على طريق البرهان من أحسن فمعه الله، فهو مع هؤلاء؛ لأنهم أحسنُوا والله الموفق المغني المعين، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله العلى العظيم."[18]؛ فأنت تراه تعرض لذكر الدفاع عن الإسلام والثبات عليه، وذكر قول من قال يهديهم إلى موت الشهادة... دون أن يفصل القول في أسبقية جهاد العدو على جميع أنواع الجهاد الأخرى التي تذكر عادة في زمن السلم والأمن من الأخطار.

وهذا الذي ذكره هنا موجزا زاده توضيحا في هميان الزاد بأن قال: " ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا**﴾ أي جاهدوا المشركين في سبيلنا، أو في حقنا، ولأجْلنا ولنصرة ديننا أو المراد جهادهم وجهاد المنافقين والنفس والهوى والشيطان فحذف المعمول للتعميم." [19]؛ فهو وإن صدَّر جملةَ الأقوال بجهاد المشركين، والتصدير علامة التشهير كما يقال، ويكون الاختيار الراجح عنده من جملة الأقوال التي سيوردها منها قول: " السدّي: أن الآية نزلت قبل فرض القتال فهي في جهاد النفس والهوى والشيطان وفي دين الله وطلب مرضاته وهو الصحيح الموافق لما مر أن السورة مكية وقال الحسن بن علي: هي في العبادة وقال إبراهيم بن أدهم: هي في الذين يعمَلون بما علموا وقال سهل بن عبد الله: إقامة السنة وقيل: المراد نصر الدين والرد على المبطلين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد النفس في طاعة الله وجهادها اكبر من جهاد العدو كما في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر." [20].

وعند تفسير قوله تعالى من نفس الآية ﴿**لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ نراه أكثر ترددا بتعديد الأقوال الواردة تفسيرا للسبل المذكورة في الآية: " طرق جنتنا وهي الأعمال الموصلة إليها وطرق الوصول إلى رضاها أو لنزيدنهم هداية إلى سبيل الخير وتوفيقا بسلوكها وإصلاح النية في الأعمال وفيها قال سبحانه وتعالى: ﴿**والذينَ اهتدَوا زادَهم هدىً**﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من عمِل بما علم ورَّثه الله علمَ ما لم يعلمْ. وقد قال الفضيل بن عياض: " والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل. وقيل: الذين جاهدوا المشركين لنثنينهم على قتالهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وفي رواية عن أبي سليمان الداراني: الذين جاهدوا فيما علمُوا لنهدينّهم إلى ما لم يعلموا. قيل: إن الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم إنما هو من تقصيرنا فيما نعلم." [21].

وفي هذا الموضع بالخصوص يشير المؤلف إلى شيءٍ من واقع المسلمين وما يصيبهم من ظلم النصارى وجرائم الاحتلال وذلك في قوله: " ﴿**وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ بالنصر والعون في الدنيا والثواب في العقبى اللهم ببركة نبيك محمد صلى الله عليه سلم وبركة السورة اخز النصارى وأهنهم واكسر شوكتهم وغلب المسلمين والموحدين عليهم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم." [22].

هذا الذي ذكرناه إنما هو من التفسير الظاهر لأحد أقطاب الإباضية، وقد رأينا كيف أن هذا الظاهر لم يتضمن إلا إشارة سريعة إلى واقع الاحتلال وما على المسلمين من واجب دفعه؛ فكيف يكون يا ترى تناولُ الأمير عبد القادر لهذه الآية وقد تضمنت الجهادَ بمفهومه العام، وهو الذي جاهد الاحتلال الفرنسي، وجمع له من خلال الزمان والمكان ما هو معروف في التاريخ، ثم طوى صفحا عن كل ذلك. وخصوصا أن الأمير ولو في غير هذا الموضع قليلُ التطرق للظاهر مع تسليمه كما هو معروف. وإليك أيها القارئ السعيد نص كلامه في هذا الموضع: " ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾، أي: الذين بارزوا أنفسهم بالمجاهدات والرياضات ﴿**فينا**﴾ بسبب الوصول إلينا وإلى جنة معرفتنا ومشاهدتنا، ﴿**لنهدينّهم**﴾ لنعرفنّهم ﴿**سبلَنا**﴾ الطرق الموصلة إلينا؛ فإنهم ما جاهدوا في غيره لا دنيا ولا آخرة. ثم ليعلم: أن دخول جنة المعارف والمشاهدة خلاف دخول جنة اللذائذ المحسوسة. فجنَّة المعارف والمشاهدة دخولها غالبا بالكسب والمجاهدة، كما قال ﴿**والذينَ جاهدُوا فينا**﴾ أي جاهدوا أنفسهم بسببنا..." [23]. فهو على عادة الصوفية يولون الأهمية لمجاهدة النفس ـــ بالمجاهدات والرياضات الأولوية . وهي عندهم منطلق كل جهاد تابع. وجزاء المجاهدة هي دخول جنة المعارف وهي عندهم شيء زائد على الجنة الحسية.

وإذا انتقلتَ إلى الشيخ أبي بكر الجزائري في أيسر التفاسير وهو مفسر معاصر، كان في تفسيره أكثرَ التصاقا بقضايا الواقع نسبة إلى من أسلفت ذكرَهم، فهو يقول: " ﴿**والذين جاهدوا فينا**﴾: أي بذلوا جهدهم في تصحيح عقائدهم، وتزكية نفوسهم، وتهذيب أخلاقهم ثم بقتال أعداء الله من أهل الكفر المحاربين للإسلام والمسلمين؛ ﴿**لنهدينَّهم سُبلَنا**﴾: أي لنوفقنَّهم إلى معرفة ما يوصل إلى محبتنا ورضانا ونعينهم على تحصيله." [24].

وواضح أنه أخذَ في تفسير الجهاد بالمفهوم الواسع والشامل لكل أنواع الجهاد الشرعي من جهاد العلم والعمل، ودفع اعتداء الكفار وحماية بيضة الإسلام. وهو مقدار لا يراه الناظر كافيا لأن قارئ التفسير المفترض أنه يجد بكثافة في بيان القرآن ما هو الواجب عليه عند تعرض أوطان المسلمين وإسلامهم إلى الاعتداء من الكفار. وربما قيل أن المفسر تتجدد له مواطن مثل هذا البيان عبر الآيات الكثيرة المشابهة وذات الموضوع الواحد.

وعند الشيخ بيوض وهو ممن عاصر الاحتلال، واكتوى بناره تراه يشير إلى ذلك دون أن يفصل فيه أو يناوله بالاسم، بناء على أنه تعرض له في مقام آخر خصوصا بعد حصول الاستقلال فقد نوّع الجهادَ الواردَ في الآية بقوله: " الجهاد في الله هو الجهاد في سبيله، جاهدوا فتنة النفس وفتنة الناس، وللنفس فتنة هي الشهوات والملذات والأهواء، وللناس فتنة هي فتنة الظلمة والجورة والمشككين بما يزيفون ويلقونه للناس قصد إضلالهم، وصدهم عن سبيل الله. والإنسان محوط بمختلف أنواع الفتن الداخلية والخارجية، وعليه أن يجاهدها، ولذلك عمم الله تعالى فقال ﴿**والذين جاهدوا فينا**﴾، ولم يقل: جاهدوا كذا وكذا. فالذي يحمل سلاحه للدفاع عن المسلمين وبلاد المسلمين إذا وجب الجهاد، وأعلنت الحرب فهو مجاهد، والذي يقاوم وسائل الإغواء التي بيتها المضلون بأفكارهم ودعاياتهم الباطلة التي لا تكاد تعد ولا تحصى، والذي يقاوم شهوات نفسه فهو مجاهد؛ بل هو الجهاد الأكبر لأنه يقاوم نفسه التي بين جنبيه حتى لا يستعمل الغرائز التي أودعها الله فيه إلا بالحق. وإذا كانت تلك الغرائز ضرورية لحياة الإنسان فإن الله تعالى لم يأمر بكبتها ولكن جعل لها متنفسا بالطرق الحلال، ولم يحرم الله تعالى شيئا إلا وقد أحلّ في مقابله شيئا، بل ما أحله أكثر مما حرمه. فكم حرم علينا من ملاذ الطعام والشراب مما أحل لنا؟ حرّم علينا الميتةَ والدم ولحم الخنزير وكلّ مسكر ومخدر، وأحلّ كل ما سوى ذلك. فجهاد الغرائز لا يكون بكبتها، وإنما بصرفها إلى الحلال." [25].

وكذلك يوجد التعميم في مفهوم الجهاد الوارد في هذه الآية والآيات المشابهة مع الاكتفاء بالإشارة إلى جهاد العدو أو الظالم ونحوه عند سعيد كعباش وذلك أخذا من قوله: " والجهاد المذكور هو الصبر والاحتمال لما تعرض إليه المؤمنون من أنواع الابتلاء قبل هجرتهم إلى المدينة كما تقدم في أول السورة. هؤلاء الأخيار من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ومن يكونُ

من بعدهم على شاكلتهم في الاحتمال والاصطبار يعدهم الله بما يضمن لهم السعادة الأبدية..."[26]. وربما يكون قد تعرض إلى شيء من ذلك في باقي تفسيره، إذ كان هذا التفسير موجها إلى المسلمين جميعا، وكثير منهم تتعرض أوطانهم إلى كثير من الخطر الداهم الواقع أو المتوقع، ومن جراء ذلك ما يتهدد أرواحهم وأموالهم، وقد أقام الله الحياة البشرية على أساس من التدافع الدافع إلى حفظ ذلك كلّه، والذي لا يمنع البشرَ من أن تكون بينهم جسور حوارٍ بديلة لكثير من وضعيات الحروب والصراع.

وربما كان الشيخ أبو بكر جابر الجزائري من أكثر المفسرين تعرضا لبعض قضايا المجتمع المعاصر دون أن يكون ذلك بتفصيل كافٍ؛ بل بالإشارة عن طريق الأحكام الحاسمة التي يصدرها كما في مواضع منها ما ذكره في تفسيره عند قوله: " قول: ذو القرنين: (أما من ظلم...الخ) يجب أن يكون مادة دستورية يحكم به الأفراد والجماعات لصدقها وإيجابيتها وموافقتها لحكم الله تعالى ورضاه، ومن الأسف أن يعكس هذا القول السديد والحكم الرشيد، فيصبحَ أهلُ الظلم مكرّمين لدى الحكومات، وأهلُ الإيمان والاستقامة مهانين!!"[27].

وكذلك فعل عند حديثه عن قتل النفس فقد جعل تحديد النسل من أسبابه، وأنكر على بعض حكومات البلاد الإسلامية السعي إلى تشريعه للناس: " حرمة قتل النفس لأي سبب كان وتحديد النسل اليوم وإلزام الأمة به من بعض الحكام من عمل أهل الجاهلية، الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم كقتل البنات خشية العار والأولاد خشية الفقر."[28]. وجعلُ ذلك من أمر الجاهلية أمر معلوم على أن ذلك كان سلوكا لأفراد جاهليين لم ينقل أن شيوخ القبائل العربية ألزموا أفراد القبيلة به ولا نهوهم عنه، فكان ذلك أقل جرما من حكومات عربية معاصرة.

وبخصوص مقام المرأة في بيتها وامتناعها عن الخروج إلا لضرورة يقرر " فضل المرأة المقصورة في بيتها وذم الولاّجة الخرّاجة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما."[29]. دون أن يكون في كلامه تعرضٌ إلى ما جدّ في حياة المرأة المسلمة من التعلم والتعليم والعمل خارج البيت، وهو أمر قد أصبح عاما يتجاوز حدود الضرورة والحاجة إلى الظاهرة غير المنضبطة التي تتطلب تقييدا بما يحفظ سير الحياة الإسلامية، ويضمن مصالح الأفراد والأسر وفق الشريعة الإسلامية.

وعند الكلام عن حادث الإفك وما جرى على السيدة عائشة أم المؤمنين من القول الزور، كما هو تعبير القرآن في سورة النور ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ**﴾ [النور: 11] يحمل على الشيعة الذين يعيدون كلام المنافقين الذين كذبهم القرآن زمن النزول فهم يعيدون توجيه الرمي بالفاحشة لهذه السيدة المؤمنة ويزعمون أن ذلك كان بالبصرة فلا يفوّت الشيخُ أن يقرر تكفيرهم بذلك وغيرهم " بعد أن ذكر تعالى حكم القذف العام والخاص ذكر حادثة الإفك التي هلك فيها خلقٌ لا يحصون عدداً؛ إذا طائفة الشيعة الروافض ما زالوا يهلكون فيها جيلاً بعد جيل إلى اليوم إذ وَرَّثَ فيهم رؤساءُ الفتنة الذين اقتطعوا من الإسلام وأمته جزءاً كبيراً سموه شيعة آل البيت تضليلاً وتغريراً، فأخرجوهم من الإسلام باسم الإسلام وأوردهم النار باسم الخوف من النار فكذبوا الله ورسوله، وسبوا زوج رسول الله واتهموها بالفاحشة وأهانوا أباها ولوثوا شرف زوجها صلى الله عليه وسلم بنسبة زوجه إلى الفاحشة." [30].

وفي تفسير الشيخ الخضر حسين عند قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً**﴾ [الأنفال: 25] يجعل من أسباب الفتنة في مجتمعات المسلمين على الأقل في زمانه إهمال التربية والتعليم الديني، وهو ما أقعد الأمة صغارا وكبارا عن معرفة عدوها ودفاعه؛ فهو يقول: " والفتنة التي يعمُّ وبالها مرتكبيها وغيرَهم ما كان من نحو إقرار المنكر وتفرق الكلمة وإهمال التعليم الديني والقعود عن دفاع العدو. فإن شؤم عاقبة هذه المعاصي لا يخص الذين ظلموا وهو المقرون للمنكر والعاملون لانفصام عرى الاتحاد، والمهملون للتربية الدينية والقاعدون عن الجهاد تكاسلا بل يتعداهم إلى غيرهم من نحو الأطفال والمستضعفين من الرجال والنساء." [31].

وفي تفسير مصطفى العلوي يتكلم عند بيان سورة العصر شيئا مما يهم المجتمع وهو من قضاياه: فهو يقول: " ومن لم يتواص بالحق قلّ أن يصبر في طريق الحق، بناء على أن رأس الأعمال الصالحة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن لم ينه ويأمر يخشى عليه يوما من الأيام يصبح فيه لا ينتهي ولا يؤتمر."[32]. وما ذكره في آخر كلامه أصبح ظاهرة اجتماعية بعد أن كان قاعدة قررتها الشريعة وهي الآية التي فسرها الخضر حسين أعلاه. وأصبح المجتمع بإفراده وحكوماته يتأبى على الأمر بالمعروف وخصوصا النهي عن المنكر.

ولما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قبيل التواصي بالحق المذكور في سور كثيرة منها سورة العصر؛ فإن من لوازمه أن يتجمل صاحبه بالصبر لا يفارقه لما يتوقعه من الرفض وردود الأفعال المعادية، قال: " ولما كانت هذه الخصال أعني: قولَ الحق وملازمة الحق والتواصي بالحق في الغالب تجلب لصاحبها من الأذى ما تكرهه نفسه، قرنها تعالى بالتواصي بالصبر؛ فمن لم يتذرع بالصبر قل أن يثبت في مقام الدعوة إلى الله عزّ وجلّ. وتعرفنا بهذا وصية لقمان لابنه فيما أخبر القرآن الكريم به حيث قال ﴿**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [لقمان: 17] "[33].

ومن المقرر أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كان مسؤولية عامة للأفراد على اختلافهم والحكومات هو درجات كثير منها يتجاوز الفرد العادي برأي الشيخ فهو من مهامّ العالم بلسانه وبيانه وبما يكتب بخط يده؛ لأنه وارث الأنبياء وقد كان ذلك من مهامهم وما بعثوا لأجله وصبروا عليه، فقد قال أيضا: " وخلاصة القول أنه يدخل في التواصي بالحق، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما تقدم. ويدخل في التواصي بالصبر حمل الأذى وكف الأذى. وهاته الأخلاق الكريمة توجد في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالسجية، وفي غيرهم من بقية المرشدين رضي الله عنهم بضرب من التكلف غير أن الكلفة تهون بقدر الخلافة النبوية: " العلماء ورثة الأنبياء"؛ فهذا متروك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك حظ الأنبياء منهم؛ فليتأمل المتصف بالعالمية حظه من ذلك الإرث ومقدار توجهه وإخلاصه ونصحه لله ولرسوله وللمؤمنين. فإن وجد في أخلاقه ما يثبت له نصيبا من ذلك الإرث فقد وجد فليلزم وإلا فهو مقطوع السبب. فينبغي له أن يلتجئ لمن يربط سببه، ويحقق له وصلته قبل أن تختم أنفاسه وهو على ما هو عليه فيحشر على ما مات عليه على أنه ليس بعد هذه الدار إلا الجنة أو النار أعاذنا الله والمسلمين من سوء القرار."[34].

وفي المقطع الأخير رد للأفراد ممن لم يتأهل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن يلتزم شيخا يعلم ذلك ويعينه على تحصيله، وربما حصل له شيءٌ من ذلك فإن المتأخرين من أتباع التصوف لم يعهد عنهم أمرٌ بمعروف أو نهي عن منكر من شأنه أن يغير من واقعَ المجتمع كما يقوله خصومهم؛ بل ربما كان تدخلهم مما يعقّد الأوضاعَ الاجتماعية وعلى كل حال فالكلام لا يخلو من مبالغة؛ وأصله صحيح فهو واقع يحياه الناس.

وإذا انتقلتَ إلى مواضع مختلفة من كلام المفسرين دون شرط أن تتحد الآية أو المقارنة بين كلام وقع تفسيرا لموضوع الآية فمن القضايا التي تعرض لها بعض المفسرين المعاصرين كالشيخ سعيد كعباش (قضايا الجاليات الإسلامية المقيمة في دول مختلفة وتحتاج إلى نوع معالجة لقضاياها الاجتماعية والمالية وغير ذلك فعند قوله تعالى: ﴿**فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا**﴾ [النحل: 114] ينقل عن الشيخ ابن عاشور لأجل التمييز بين الطيب والخبيث من تلك المطعومات ما نصه: " ومناسبة هذا التحديد في المحرمات أن بعض المسلمين كانوا بأرض غربة، وقد يؤكل فيها لحم الخنزير وما أهلّ به لغير الله، وكان بعضهم ببلد يؤكل فيه الدم، وما أهل به لغير الله." [35]

ثم يعقب على ذلك بالكلام عن وضع مشابه معاصر، فقد قال: " قلتُ: ما تزال هذه الوضعية المرْبكة يعيشها كثير من المسلمين في ديار الغربة حتى اليوم؛ إذ تشتبه عليهم نوعية اللحوم المعروضة سيما في البلدان الملحدة، ولا يجدون مخرجا إلا بالاعتماد على أكل السمك ونحوه، حتى اضطرت الجماعات المسلمة في أوربا وأمريكا تتخذ لنفسها ذبائح خاصة على الطريقة الإسلامية." [36]. وقوله هذا يتضمن أنه لا رخصة في أكل اللحوم المحرمة مهما تبدلت الأعصار، وهو مقدار كاف من البيان لمن يريد التزام أحكام الشرع، يدفع شبهة الترخص في ذلك باسم الإقامة في غير بلد الإسلام.

وفي كلام الشيخ الخضر حسين حول بعض آيات الحج بيان لبعض مقاصده على وجوه مختلفة عما كان يذكره القدماء، وذلك تقريبا ما استقرر عند المفكرين المعاصرين عند الكلام على مؤتمر الحج وما عسى أن ينتفع به المسلمون اليوم خصوصا بعد أن تعرضت أوطانهم إلى أخطار متعددة ابتداء من الاستعمار إلى الفتن الداخلية وغير ذلك من معالجة مختلف قضايا المسلمين فقد قال عند قوله تعالى ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ**﴾ [البقرة: 197]: " وللحج فوائد كثيرة العدد عظيمة الخطر، من أهمها: التعارف ثم التوادُدِ ثم الاتحاد ثم التعاون على إقامة المصالح العامة، ودفع الأخطار الفادحة. ولو اتجهت أنظار الشعوب الإسلامية إلى هذه الغاية الخطيرة بعناية، وعملوا لها بحكمة وحزم، لوجدوا أكبر مساعد على أن تتوافق آراؤهم وتتقارب مشاربهم وتتماثل مراميهم فيستعيدوا سيادتهم ويعيشوا في عزة وطمأنينة." [37]. وفي آخر

كلامه ما يشير إلى معضلة السيادة الوطنية وما تعرضت له الأوطان الإسلامية من الاستعمار والتبعية.

04- **شروط النهضة واستكمال أسباب القوة:**

وممن تطرق أيضا إلى بعض القضايا المالية ذات الطابع الاجتماعي بمناسبة تفسير قوله تعالى: ﴿**وممّا رَزقْنَاهُم يُنْفِقُونَ**﴾ [البقرة: 01] الشيخ مصطفى آل عزيز فقد قال: " فإلى عهد قريب كانت العقارات والمراكب عامة لا شأن لها إلا في الزراعة والتجارة فيزكى مما أخرجت الأرض ومما كسبت المراكب قال تعالى: ﴿**أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ**﴾ [البقرة: 267]، وأما اليوم وقد صارت العقارات والمراكب أموالا مكنوزة فتقوّم العمارات والمنازل، والعقارات والمراكب بيعا وشراء وكلها أموال محفوظة مكنوزة يتصرف فيها صاحبها متى وكيف يشاء، لذلك فإن ما ينطبق على زكاة الأموال عامة ينطبق على هذه العقارات والمنقولات فيما فضل وزاد عن الحاجة ولعله الحل الأمثل والوجيه للمشكل الاقتصادي على ضوء وهدي الشريعة الإسلامية." [38].

وقصده بعبارة " كانت العقاراتُ والمراكبُ عامةً لا شأنَ لها إلا في الزراعة والتجارة " الإشارةُ إلى النظام الاشتراكي الذي كان مطبقا في الجزائر مثلا غداة الاستقلال ففيه كانت ملكية الوسائل للدولة فلا زكاة فيها وإنما تكون الزكاة في غلتها. أما وقد تحركت ملكيتها فيما بعد لصالح الأفراد فالزكاة على رأي المفسر المذكور تكون في أعيانها بتقويمها، وفي غلتها أيضا وهو اجتهاد حديث قد بكر المؤلف بتبنيه والدعوة إليه وتقديمه علاجا اقتصاديا للحاجات المادية للمجتمع الإسلامي قد يوافق وقد يخالف فيه، إنما الغرض التنبيه إلى تناول المفسر المعاصر لذلك وغيره من قضايا المجتمع.

ولا يفوتني هنا أن أعرج على ما ذكره الشيخ ابن باديس من الواجب الشرعي على المسلم من ضرورة اتخاذ الأسباب الشرعية لتحقيق مقاصده الدينية والدنيوية، ولا ينبغي أن يتهاون الأفراد والجماعات بل الأمة كلها في استكمال الأسباب المنصوبة لبلوغ الأهداف المسطرة فقد قال " في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا**﴾ [الإسراء: 19- 20]. وقد أفادت الآية - حسبما تقدم - أن أسباب الحياة والعمران والتقدم فيهما مبذولة للخلق على

السواء، وأن من تمسك بسبب بلغ - بإذن الله - إلى مسبَّبه، سواء أكان براً أو فاجراً، مؤمناً أو كافراً. وهذا الذي أفادته الآية الكريمة مشاهد في تاريخ المسلمين قديماً وحديثاً: فقد تقدموا حتى سادوا العالم، ورفعوا علَم المدنية الحقّة بالعلوم والصنائع لما أخذوا بأسبابها كما يأمرهم دينهم. وقد تأخروا حتى كادوا يكونون دون الأمم كلها بإهمال تلك الأسباب فخسروا دنياهم، وخالفوا مرضاة ربهم، وعوقبوا بما هم عليهم اليوم من الذل والانحطاط. ولن يعود إليهم ما كان لهم إلاّ إذا عادوا إلى امتثال أمر ربهم في الأخذ بتلك الأسباب، فهذه الآية من أنجع الدواء لفتنة المسلم المتأخر بغيره المتقدم، لما فيها من بيان أن ذلك المسلم ما تأخر بسبب إسلامه، وأن غيره تقدم بعدم إسلامه؛ لأن السبب في التقدم والتأخر هو التمسك أو الترك للأسباب. ولو أن المسلم تمسك بها كما يأمره الإسلام لكان - مثل سالف أيامه - سيد الأنام." [39].

وفي ضمن كلامه تصريح واضح بما عليه المسلمون في زمانه وقبله وبعده أيضا من التأخر بسبب الاستهانة بالأسباب وعدم استكمال ما يتاح منها في مختلف ميادين الحياة من دينية ودنيوية رغم أن الشرع الشريف وسلف الأمة كان حرصهم شديدا على الأخذ بذلك وتتبعه فكانوا على ما هو معروف من العزة والمكانة.

واستكمالا لما سبق مما هو كالنتيجة لما تقدم وغيره من حدوث التخلف في ميادين العلم والعمل، وضعف الدين وتنقلب الموازين في الأفراد والرؤوس الجهال... فيحدث ما يسميه ابن باديس نفسه " الانحطاط التام "، وذلك قوله في موضع غير بعيد: " وهذا هو طور انحطاط الأمم، الانحطاط التام، وذلك عندما يرتفع منها العلم، ويفشو الجهل، وتنتشر فيها الفوضى بأنواعها، فتتخذ رؤوسا جهالاً لأمور دينها وأمور دنياها، فيقودونها بغير علم، فيَضلون ويُضلون، ويَهلكون ويُهلكون، ويفسدون ولا يصلحون. وما أكثر هذا - على أخذه في الزوال بإذن الله - في أمم الشرق والإسلام اليوم.." [40].

والعبارة الأخيرة في كلامه استدراك يفيد ما كان يراه الإمام المصلح من نهضة الشرق ويأمله ويعمل لأجله من بلوغ تلك النهضة مداها، وقد قدر لمن جاء بعده أن يرى مصداق ذلك من تحرير الأوطان وشيوع التعليم، ونهضة العلم الديني، وانتشار المعارف الحديثة على أن ذلك لم يبلغ بعدُ الأملَ المرجو من نهضة الشرق التامة، والعودة الكاملة إلى الإسلام الصحيح بسبب رواسب التاريخ، وتحديات الجغرافيا.

وهذا الذي أشار إليه ابن باديس من بوادر النهضة في الأمم الإسلامية زاده تفصيلا بسبب ما كان يطالعه من مقدمات صلاح الحال، وجهاد المصلحين في العلاج " رجاء وتفاؤل: إن المطلع على أحوال الأمم الإسلامية يعلم أنها قد شعرت بالداء، وأحست بالعذاب، وأخذت في العلاج، وإن ذلك، وإن كان يبدو - اليوم - قليلاً، لكنه - بما يحوطه من عناية الله، وما يبذل فيه من جهود المصلحين - سيكون بإذن الله كثيراً. وعسى أن يكون في ذلك خيرٌ لأمم الأرض أجمعين." [41].

ونعود إلى تفسير الشيخ أبي بكر الجزائري في موضع يتعلق بالتصحيح الاجتماعي الذي يفرضه الشرع على متبعيه بالمصطلح المعروف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكلام المفسرين في شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معروف، ولمن شاء أن يطالعه في محلّه غير أن مقصودنا هنا أن تسجل ما قاله هذا المفسر عند قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: 104]؛ فقد قال ما نصه: " أمرهم في هذه الآية بأن يوجدوا من أنفسهم جماعة تدعو إلى الإسلام، وذلك بعرضه على الأمم والشعوب ودعوتهم إلى الدخول فيه، كما تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر في ديار الإسلام وبين أهله." [42].

وهي مسألة تقصر فيها كثير من الدول الإسلامية اليوم فهي بالكاد تهتم بوضع جالياته من جهة التدين والقيام بالشعائر الإسلامية، وتقوم بعض الدول وبتسهيل عمل الدعاة في بعض مناطق إفريقيا عن طريق جمعياتها الخيرية الإسلامية. وهو أمرٌ مع أهميته غير كاف ثم هو موجه أساسا إلى الشعوب لا الحكومات.

وقد قال الشيخ ابن باديس عند قوله تعالى: ﴿**لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ**﴾ [يس: 6]، مشيرا إلى ما كان عليه واقع المجتمع الجزائري قبل زمانه بقليل من الغفلة عن هداية القرآن، وما جدّ بعد ذلك من الرجوع إليها بفضل التعليم، ونشر الوعي فقد قال " كان الناس منذ زمن قريب لا يسمعون ولا يسمع منهم لفظ الاهتداء بهداية القرآن العظيم، والإقتداء بهدي الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والسير بسيرة السلف الصالح في النهوض بأعباء الدنيا والدين، وهم - إلاّ قليلاً - عن هذا غافلون. أما اليوم بعد أن نهض العلماء المصلحون بواجبهم، ونشروا دعوة الحق في قومهم؛ فقد أصبح ذلك معروفاً عند أكثر الناس،

وفي متناول الناس بجميع طبقاتهم. وإنا لنرجو من فضل الله المزيد، ونشاهد ذلك والحمد لله كل يوم يزيد، فالحمد لله على ما علّم وألهم وبصر ويسّر، ونسأله دوام التوفيق والتسديد يا رب العالمين." [43]. ووجه مناسبة ما قاله الشيخ لمضمون الآية أن البداية هي مطلق الغفلة الصادقة بغفلة المسلمين عن تفاصيل الحياة الإسلامية، وكثيرا ما تنتهي الغفلة إلى حد غفلة الناس عن التصديق لما بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب.

وعند تفسير قوله تعالى تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]. نجد ابن باديس يحوم حول تدخل الأجانب في شؤون الدول دون أن يكون ذلك مباشرا، ولا أن يكونَ بالتنصيص على دولة بعينها، فهو يشيد بخصائص الأمم خصوصا العربية منها، وأنها لا تقبل الخضوع للأجنبي فهو يقول: " فمن الطبيعة العربية الخالصة: أنها لا تخضع للأجنبي في شيء، لا في لغتها ولا في شيء من مقوماتها؛ ولذلك نرى القرآن يذكرها بالشرف، ويحدثها كثيراً عن أمة اليهود التي لا يناديها إلاّ بيا بني إسرائيل؛ تذكيراً لها بجدّها الذي هو مناط فخرها. كلّ ذلك لأنها أمة تحيا بالشرف والسمو والعلو، ويذكرها بالذكر وهو في لسانها الشهرة الطائرة والثناء المستفيض، يقول تعالى لنبيه وهو يعني القرآن: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: 43، 44]. والأنبياء لم يبعثوا إلاّ في مناسب الشرف، ومنابع القوة، ومنابت العزة ليبنى المجد الطريف من الدين على المجد التليد من أحساب الأمة وأنسابها وشرفها وعزتها، وما كان لها من مناقب تلتئم مع أصول الدين." [44]. وهذا الشرف الذي توصف به أمم دون غيرها وتستحقه مجتمعات بعينها عبر التاريخ يلزم هذه المجتمعات بعينها واجبات اجتماعية. وهذا كما يصدق على الجماعات فإنه يصدق أيضا على الأفراد.

ولنستمع إلى ابن باديس فقد قال ما نصه: " فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: 44]، ليشعرهم أن عليهم من الواجبات في مقابلة هذا الشرف الذي أعطوه ما ليس على غيرهم، ولا شك أن ثمن المجد غال!! وهذا الشرط الذي ذكره الله، وذكّر به العرب هو شرط واجب الاعتبار والتنفيذ، لأن الأمة التي لا تؤدي ثمن المجد لا تحافظ عليه، ثم هي أمة لا يعتمد عليها في النهوض بنفسها ولا بغيرها. وإنما ذكرهم الله بذلك لينهضوا بالأمم على ذلك الأساس، وهو إحياء الشرف

الإنساني في نفوسها، وليعاملوها على ذلك الأساس بالعدل والرحمة والتكريم. وما ذكر القرآن العرب بتكريم بني آدم وخلقهم في أحسن تقويم، إلاّ ليعاملوهم على هذه القاعدة التي وضعها الخالق. وإن أعداء البشرية اليوم وقبل اليوم، يعمدون إلى قتل الشرف من النفوس، ليستذلوا من هذا النوع ما أعز الله، ويهينوا منه ما كرم الله."[45]. وهذا المقدار الذي ذكره هنا كان هو المسموح به فقط أمام الرقابة الشديدة التي كان يمارسها الاستعمار على الصحافة والتعليم، وخطب العلماء وتصريحات العاملين في حقل الحركة الوطنية.

الخاتمة:

نستخلص من خلال ما تمَّ التعرضُ له أمورا منها:

- أن عموم المفسرين الجزائريين قد تعرضوا لكثير من قضايا المجتمع
- أن حجم ذلك التعرض كان متفاوتا بين المعاصرين خصوصا.
- أن تناول المفسرين المتقدمين لقضايا المجتمع من خلال التفسير كان محدودا.
- أن التناول كان أقرب إلى العمومات والتعميمات منه إلى التنزيل على قضايا الواقع.
- أن مجال القول لا يزال واسعا عموما في التفسير وخصوصا في الدراسات القرآنية.
- أن قضايا كبيرة كالتخلف والاستعمار والتنمية...لم يتم تناولها بمقدار ما تستحقه من التشخيص والمعالجة، والاستفادة من المعارف الإنسانية الحديثة.

قائمة المصادر والمراجع:

- يوسف المرعشلي، **نثر الجواهر والدرر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر** (دار المعرفة ـ بيروت لبنان . 2006م).
- محمد بن يوسف اطفيش، **تيسير تفسير** (نسخة إلكترونية . المكتبة الشاملة . الإصدار الأول 2010م).
- محمد بن يوسف اطفيش، **هميان الزاد إلى دار المعاد** (وزارة التراث القومي سلطنة عمان، بدون تاريخ).
- أبو بكر جابر الجزائري، **أيسر التفاسير** (مكتبة العلوم والحكم . المدينة المنورة . ط: 04. 2002م).
- سعيد كعباش، نفحات الرحمان في رياض القرآن (جمعية النهضة . غرداية الجزائر. ط: 01. 2006م).
- هود بن محمد الهواري، **تفسير كتاب الله العزيز** (مطبعة غرداية، 2009م).

- الأمير عبد القادر الجزائري، **المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف** (دار الهدى للنشر والتوزيع- الجزائر- ط: 03، 2000).
- عمر بيوض، **في رحاب القرآن** (المطبعة العربية، غرداية- الجزائر- 2001م).
- الخضر حسين الجزائري، **أسرار التنزيل** ضمن **موسوعة الأعمال الكاملة** علي الرضا الحسيني (دار النوادر- سوريا- ط: 01، 2010م).
- أحمد بن عليوة، **مفتاح علوم السّرّ في تفسير سورة العصر** (نسخة إلكترونية).
- الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير** (الدار التونسية للنشر. تونس. ط: 01. 1982م)
- مصطفى آل عزيز، **الحق لما اختلف فيه من الحق** (دار البشائر الإسلامية- بيروت- ط: 01، 1990م).
- عبد الحميد بن باديس، **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير** (دار الكتب العلمية. بيروت. ط: 01. 1995م).

الهوامش:

1- نثر الجواهر والدرر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر، يوسف المرعشلي (دار المعرفة . بيروت لبنان. 2006م) /217.
2- تيسير تفسير، للشيخ محمد بن يوسف اطفيش (نسخة إلكترونية. المكتبة الشاملة. الإصدار الأول 2010م) ج 4/ 412.
3- هميان الزاد إلى دار المعاد، للشيخ اطفيش (وزارة التراث القومي. سلطنة عمان، بدون تاريخ) ج 06/ 342.
4- هميان الزاد، المصدر نفسه. ج6/ 342.
5- أيسر التفاسير، لأبي بكر جابر الجزائري (مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة. ط: 04. 2002م) ج 3/ 14.
6- نفحات الرحمان المرجع نفسه. ج7/ 154- 155.
7- نفحات الرحمان، للشيخ سعيد كعباش. (جمعية النهضة. غرداية الجزائر. ط: 01. 2006م) ج 7/154- 155.
8- تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم الهواري (مطبعة غرداية، 2009م) 3/ 120.
9- تيسير التفسير للقطب طفيش، المرجع نفسه. ج 08/ 233.
10- تيسير التفسير، المصدر السابق. ج 08/ 233.
11- المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف، للأمير عبد القادر (دار الهدى للنشر والتوزيع - الجزائر - ط: 03، 2000م) 2/67- 68.
12- هميان الزاد إلى دار المعاد للقطب امحمد اطفيش، المرجع نفسه. ج 10/ 370.
13- في رحاب القرآن، للشيخ بيوض. تحرير: عيسى بن محمد الشيخ بلحاج (المطبعة العربية، غرداية- الجزائر- 2001م) 10 /166.
14- في رحاب القرآن، المرجع نفسه. 174/10.
15- في رحاب القرآن، المرجع السابق. 172/10.
16- في رحاب القرآن، المصدر السابق. 9/74- 75.

17- تفسير الثعالبي، المصدر السابق. 3/ 181.
18- تيسير التفسير للقطب امحمد اطفيش، المرجع السابق. 498/7.
19- هميان الزاد للشيخ اطفيش، المرجع نفسه. 07/ 322.
20- هميان الزاد، المصدر نفسه، المرجع نفسه. ج 07/ 322.
21- هميان الزاد، المرجع نفسه. ج 08/ 322.
22- هميان الزاد، المرجع نفسه. ج 09/ 322.
23- المواقف للأمير عبد القادر، المرجع السابق. ج 177/1.
24- أيسر التفاسير للجزائري، المرجع السابق. ج 3/ 219.
25- في رحاب القرآن، المرجع السابق. ج 270/9.
26- نفحات الرحمان، المرجع السابق. ج 327/10- 328.
27- أيسر التفاسير للجزائري، المرجع السابق. ج 398/2.
28- أيسر التفاسير للجزائري. ج438/1.
29- أيسر التفاسير للجزائري. ج 188/4.
30- أيسر التفاسير للجزائري. 49/3.
31- أسرار التنزيل، للخضر حسين ضمن موسوعة الأعمال الكاملة علي الرضا الحسيني (دار النوادر- سوريا- ط: 01، 2010م) 400/1.
32- أسرار التنزيل، المرجع نفسه. ج 400/1.
33- مفتاح علوم السّرّ في تفسير سورة العصر، الشيخ أحمد بن عليوة (نسخة إلكترونية) /05.
34- مفتاح علوم السر، المرجع السابق./ 05.
35- التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (الدار التونسية للنشر. تونس. ط: 01. 1982م) ج 310/14.
36- نفحات الرحمان، المرجع السابق. ج7 /456.
37- أسرار التنزيل، المرجع السابق. ج 418/1.
38- الحق لما اختلف فيه من الحق، مصطفى آل عزيز (دار البشائر الإسلامية - بيروت - ط: 01، 1990م) 48/1.
39- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، لعبد الحميد بن باديس (دار الكتب العلمية. بيروت. ط: 01. 1995م)/ 59.
40- تفسير ابن باديس، المرجع نفسه./ 102.
41- تفسير ابن باديس، المرجع السابق./ 127.
42- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المرجع السابق. ج 1/ 357.
43- مجالس التذكير لابن باديس، المرجع السابق./ 298.
44- أسرار التنزيل، المرجع السابق. ج 400/1.
45- تفسير ابن باديس، المرجع السابق./ 390.